مجلة الحكمة للدراسات التاريخية
المجلد5 ، العدد12، (ديسمبر2017)
ISSN : 2353-0472
EISSN : 2600-6405

معركة إيسلي و انعكاساتها على المغرب الأقصى ومقاومة الأمير

الأستاذ: بلعريبي نور الدين
جامعة خميس مليانة

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى عرض الظروف التي حدثت فيها معركة إيسلي وانعكاساتها على المغرب الأقصى ومقاومة الأمير عبد القادر. كانت للأمير عبد القادر علاقات واسعة مع ملوك وأمراء أوراوبا ومع سلطان المغرب خاصة.

إن هزيمة إيسلي وما أعقبها من اتفاقيات ومعاهدات بين فرنسا والمغرب حولت انتصارات الأمير إلى هزائم حيث اشتد عليه الحصار وأصبح بين فكي كماشة فما كان عليه إلا أن يستسلم بعد أن انطلت على المغاربة دسيسة الفرنسيين بأن الأمير منافس خطير لملك المغرب على العرش.

الكلمات المفتاحية: الأمير عبد القادر – السلطان مولاي عبد الرحمان – الزمالة – لالة مغنية المغرب الأقصى – معركة ايسلي– معاهدة طنجة – الجنرال بيجو: دوق ايسلي.

Résumé

Cette étude vise à présenter les circonstances dans lesquelles la bataille d'Isly a eu lieu et ses répercussions sur le Maroc et la résistance du prince Abdelkader. Le prince Abdelkader entretenait des relations étendues avec les rois et les princes d'Europe et avec le sultan du Maroc en particulier.

La défaite d'Isly et les traités ultérieurs entre la France et le Maroc transformèrent les victoires du prince en défaites, où le siège devint plus fort et devint entre les mâchoires de la pince.Il dut abandonner après que les Marocains eurent vaincu l'intrigue française que le prince était un dangereux concurrent du roi du Maroc.

Les mots clé Prince Abdelkader - Sultan Moulay Abderrahmane - Zemala - LallaMughniyeh Far Maroc - Bataille d'Isly - Traité de Tanger - Général Peugeot: Duc d'Isly.

ISSN : 2353-0472
EISSN : 2600-6405

مقدمة:

في المرحلة ما بين 1840 – 1847م عينت الحكومة الفرنسية الجنرال بيجو حاكما عاما للجزائر وأمدته بكل ما يحتاج من أسباب القوة و اعتمد بيجو في حربه على الأمير عبد القادر على سياسة الأرض المحروقة . وكان الملاذ الوحيد للأمير بعد أن شدد عليه الحصار هو اللجوء الى المغرب الأقصى وذلك للحصول على الإمدادات ولاتخاذه كقاعدة خلفية يلجأ إليها الأمير كلما اشتد عليه الحصار من الفرنسيين.

فما كان على الفرنسيين إلا تقديم الشكاوي للسلطات المغربية متهمة إياها باحتضان المجاهدين الجزائريين ولذلك طالبت فرنسا بإبعادهم من المغرب لقد كان للتضامن الشعبي المغربي مع الأمير وقعا سيئا على فرنسا انتهى بالتصادم العسكري في معركة إيسلي 1844م التي ساهمت بشكل فعال في إنهاء المدد المغربي للأمير.

الصراع المغربي الفرنسي 1842 – 1845:

بعد شهر مارس 1842م و بسبب لجوء الأمير إلى المغرب ضغطت فرنسا بشدة على السلطات المغربية لمنع الأمير من العودة إلى بلاده الجزائر كما كتب القنصل الفرنسي لدى المغرب نيون للسلطان في نفس الأمر. أما رد السلطان المغربي فكان التماطل بحجة عدم التحكم في المناطق الشرقية من المغرب وبسبب الضغط الشعبي المساند للأمير في حركة الجهاد ضد الفرنسيين، بل أكثر من ذلك راسل ولي عهده يدعوه إلى الاستعداد للجهاد برا و بحرا في 15 ماي 1842م.

عندها أحس بيجو بخطر التفاف المغاربة حول حركة الجهاد و تعاطفهم مع الأمير لذلك خاطب ضباطه قائلا : "و لا يخفى ما انطوت عليه قلوب المغاربة المراكشيين من المحبة و التشيع له... ".[1] فكان جواب السلطان : "إن بلاد الريف قد خرجت من يدي و دخلت في طاعة عبد القادر فلا يمكن إجراء شيء من مطلبكم".[2]

عندها أيقن الفرنسيون عن عجز السلطان في منع المغاربة من دعم الامير و عندها أيضا ورط السلطان نفسه و المغرب في مواجهة حتمية لم يكن يريدها من خلال جوابه

[1] محمد بن عبد القادر : **تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر**، ج1 ، شرح و تعليق ممدوح حقي ، دار اليقظة العربية بيروت لبنان 1384هـ-1964م . ص445.

[2] المرجع نفسه ، ص445 .

الذي أخطأ في حساب عواقبه فاعترافه هذا سيحمل فرنسا على التدخل واستخدام القوة ضد المغرب .

و كان بداية هذا التدخل هي محاولة فرنسا تقديم عرض للمغاربة برسم الحدود في شهر جويلية 1842م إلا أن كان جواب السلطان في 14 جويلية 1842م ما يلي : "الحدود بين المغرب و الجزائر معروفة و واضحة... ".[1]

و كانت الخطوة الأولى هي لجوء فرنسا إلى وضع خرائط للحدود المغربية الجزائرية دون استشارة المغاربة كما طالبوا من قنصلهم تبليغ السلطان مطلب فرنسا والمتمثل في إلقاء القبض على الأمير وسجنه.

و كان رد السلطات المغربية هو الرفض بحجة أن الأمير من رعايا الدولة العثمانية. عندها قامت وحدات من الجيش الفرنسي بقيادة لامورسيير باحتلال منطقة لالة مغنية وكانت هذه المنطقة تبعد عن وجدة بـ 25 كلم ويعتبرها الفرنسيون داخلة في الحدود الجزائرية إلا أن السلطان كان يعتبرها مغربية.

و قد أثار انتشار الفرنسيين في ضواحي مقام السيدة لالة مغنية حفيظة السلطان عبد الرحمن ومخاوفه، ، كما أن هذا المكان يعد أرضا مقدسة بالنسبة للمغاربة و كل من يمس حرمته يوجب ردعه خاصة بعدان رفض لامورسيير إخلاءه

و بعد أن فشل بيجو في مساعيه الدبلوماسية بإقناع السلطان بضرورة طرد الأمير من الأراضي المغربية ، لجأ إلى احتلال لالة مغنية في 5 جوان 1844م عندها أعلن السلطان الجهاد و آزرته في ذلك القبائل المتاخمة للحدود الجزائرية . كما أرسل السلطان قوات نظامية بقيادة الطيب القناوي إلى المنطقة.

وجه الكناوي إنذارا كان عبارة عن احتجاج إلى لامورسيير يطالبه بالانسحاب إلى شرق التافنا وهي الحدود الرسمية بين البلدين في نظر المغاربة غير أن إصرار الفرنسيين ورفضهم الانسحاب و عدم الاستجابة لمطلب المغاربة كان وراء اشتداد الحماس في نفوس الشعب المغربي الذي هب لداعي الجهاد لتحرير الأراضي المقدسة و ألحقوا

[1] أحمد العماري : **مشكلة الحدود الشرقية بين المغرب و الجزائر و استغلالها في المخطط الفرنسي للسيطرة على المغرب 1830-1902 من خلال رحلة علي السوسي** ، ج1 و 2 ، د. د. ع. جامعة محمد الخامس الرباط المغرب 1982، ص 43.

الهزيمة بجيش لامورسيير إلا أن وصول الإمدادات بقيادة بيجو جعل الدائرة تنقلب على المغاربة الذين انسحبوا نحو وجدة.[1]

و وقعت مراسلات بين الجنرال بيجو و الطيب الكناوي و كان مضمونها هو ضرورة التخلص من الأمير و ضرورة توحيد الجهود المغربية و الفرنسية للقضاء عليه حتى تصفو العلاقات بين الدولتين ، حيث كتب له قائلا : "إنه رجل لم تكن له خدمة غير أنه سعى في الفساد بين الفرنصيص و المغرب و سبب تخليطه جذبكم نحو عامين إلى الآن".[2]

و قد أملى بيجو على الكناوي مجموعة من الشروط لتحقيق السلم بين البلدين منها ما يلي :

1 – يجب انتقال الأمير و دائرته إلى فاس . 2 – تفريق دائرة الأمير عبد القادر .

3 – أن لا يمد بشيء من السلاح أو بارود أو رصاص أو غذاء .

4 – يجب أن تعود القبائل الجزائرية التي دخلت المغرب الشرقي إلى الجزائر حالا .

5 – اعتبار كل من أراضي عطية و أراضي مسبرة وأراضي الأعشاش وأولاد ملوك وأراضي بن بوسعيد وأراضي أولاد نهار كلها لفرنسا بأهلها إلا أرض عطية هي لنا وأهلها للمغرب.

إلا أن المغاربة رفضوا الرد على هذه الشروط كعادتهم فيما سبق.

احتلال وجدة : لقد اعترضت العديد من الدول الأوربية ، خاصة بريطانيا على السياسة العدوانية التي كانت تقوم بها فرنسا على الحدود المغربية إلا أن الجنرال بيجو اتخذ قرارا بالتوسع أكثر في المغرب باحتلال وجدة يوم 11 جوان 1844م من غير مقاومة تذكر لأن المغاربة كانوا قد انسحبوا من ضواحيها إلى تازة و هذا ما يؤكده بيجو بقوله : " ثم لما قدمنا إلى قرية وجدة فوجدناها خالية من أهلها ما عرفنا الأرض تزلزلت بهم أو طاير طائر بهم و ما وجدنا غير اليهود و البعض من أهل تلمسان رعيتنا و عشرة أنفس من جيشكم ... "[3]وكان من أهداف احتلال وجدة ما يلي :

أ - إرغام السلطات المغربية على تنفيذ شروط الفرنسيين الواردة سابقا.

ب - القضاء على القواعد الخلفية للأمير و على التلاحم الشعبي بين الجزائريين والمغاربة.

---

[1] مختار حساني : **ثورة الأمير عبد القادر من خلال ثلاث مخطوطات** ، دار الحكمة1987 ، ص221 .

[2] أحمد العماري : **مشكلة الحدود الشرقية بين المغرب و الجزائر و استغلالها في المخطط الفرنسي للسيطرة على المغرب** ، مرجع سابق ، ص87 .

-6Hamet Ismail : **le gouvernement Marocain et la conquête d'Alger**, Présenté par Ali Tablit , Thala éditon , les éditions Chihab(sd),1998 . P31.

ج - إرهاب سلطان المغرب ففي نفس الوقت الذي كان الجنرال بيجو يهاجم مدينة وجدة كانت البوارج الحربية الفرنسية تقذف موانئ طنجة والصويرة.

و بذلك اقتنع السلطان أخيرا بضرورة إبرام الصلح مع الفرنسيين و الاعتراف لهم بالحدود التي يريدونها و بوجوب توقيف و تسليم الأمير أو سجنه و منعه بالقيام بأي نشاط ضد الفرنسيين.بالمقابل ينسحب بيجو من وجدة، والمتمعن بالأحداث لا يرى صحة هذه الادعاء فهناك أسباب أخرى دعت المارشال إلى الانسحاب من وجدة منها:

1 – الخوف من تشتت الجيش الفرنسي بين الجزائر و المغرب و هذا يمثل نقطة ضعف تؤدي إلى تعدد جبهات القتال الأمر الذي يسهل على الأمير الانتصار في الأخير . 2 – المعارضة الإنجليزية للتوسعات الفرنسية في المغرب .

3 – إن المارشال لم يستأذن من إدارته عند دخوله وجدة لكن القرار كان شخصيا لذا انسحب خوفا من غضب الحكومة الفرنسية خاصة و أن الرأي العام في فرنسا معارض لبيجو وسياسته .

هذا إلى جانب الإنذار الذي قدمه إلى السلطان المغربي يوم 28 جوان 1844م بضرورة تسليم الأمير وتوقيفه، و أمام هذا الإصرار الفرنسي و الأخطار المتنامية على المغرب وقع في جويلية 1844م لقاء بين الأمير والسلطان حول إمكانية التسليم والمغادرة إلى مكة إلا أن الأمير رفض هذا الأمر وفي نفس الوقت أعطى السلطان الأمر إلى رعاياه للتعبئة وطالب من أئمة المساجد بالدعوة إلى الجهاد لكنه تردد في أخذ موقف حازم من شأن إبعاد الأمير من الأراضي المغربية حيث يرى أبو القاسم سعد الله" و رغم ضغط الفرنسيين والانجليز على السلطان لكي يبعد الأمير ويكف عن مساعدته فإن السلطان لم يفعل خوفا كما يقول معظم المؤرخين من ردود شعبية داخلية ضده ، لأن الشعب المغربي أصبح ينظر إلى الأمير على أنه قائد حركة الجهاد ليس في الجزائر فحسب بل في المغرب أيضا".[1] وهكذا وجد السلطان نفسه مضطرا لرفض تسليم الأمير.

و قد أسند السلطان قيادة جيشه إلى ولي عهده الأمير محمد الذي راسل والده يوم 5 أوت 1844م يخبره بمكان نزوله و حالة جيشه بقوله: "حللنا بعيون سيدي ملوك حلول عز و يمن و سعادة ثم يذكر له القبائل التي ساندته وحماسها الشديد للجهاد: وتلقيت

[1] أبو القاسم سعد الله : **الحركة الوطنية** ، ج1 ، دار البصائر الجزائر 2007 ، ص168 .

قبائل الأنكاد بعطاطيشهم ... كما تلقانا الكرارمة في أحسن زي ... وقاموا بمعونة المحلة أحسن قيام وصحبنا كافة فرسانهم ... وقد اجتمع من القبائل الصحراوية خلق كثير.[1]

هذا إلى جانب تناوله أحوال الأمير عبد القادر قائلا : "و السيد عبد القادر تأخر يمنى معه لملوية بألطف إشارة و أوجز عبارة من الطالب حميدة و الشيخ حمدون بأمرنا وإشارتنا فلم يبق للكائن الآن ما يغرر به من جهته"[2]. ومن ذلك أصبحت المواجهة مع القوات الفرنسية حتمية.

معركة وادي إيسلي 6 أوت 1844 :

تلخص معركة إيسليالإرادة القوية في الدفاع عن الإسلام و المسلمين في الجزائر وقد طبع هذه الإرادة جهل مطلق بقوة الفرنسيين التي احتلت الجزائر و جهل مطلق كذلك بالقوة الجزائرية المقاومة التي كان يمثلها الأمير عبد القادر.

و قد حاول حاكم طنجة تجنب الحرب و المواجهة لكنه لم يفلح كما أن مساعي قنصل بريطانيا بالمغرب إدموند هاي لم تنجح هي الأخرى بمراكش لذلك لم يقتنع جوانفيل بهذه الإجابة . وقد قدر عدد الوحدات البحرية الفرنسية بـ 28 قطعة بحرية منها الفرقاطتين ياصمودي و لايبل بون ، و بواخر أخرى مثل بلوتان الرامردة ، تريتون تحمل على متنها 1200 بلطجي ، 200 من الرماة ، 750 من المشاة و 750 من البحارة[3].

و قصفت مدينة طنجة و كان رد فعل المغاربة ضعيفا و عاجزا كما قصفت بعض المناطق منها الصويرة و موغادور هذا عن الجبهة البحرية . أما عن الجبهة البرية فلقد تمكن المغاربة في بدايتها من إحراز بعض الانتصارات بعد أن عبرت القوات الفرنسية نهر إيسلي و قد بدأت المعركة صبيحة 14 أوت 1844م ، لكن لجوء الفرنسيون إلى استخدام سلاح المدفعية ألحق ضررا كبيرا بالجيش المغربي . كما تمكنوا من ضرب خيمة الخليفة و إلحاق الذعر في صفوف المغاربة بعدما شاع نبأ مقتل ولي العهد.[4]

أسباب هزيمة إيسلي : هناك عدة أسباب جوهرية يمكن ذكر أهمها فيما يلي:

---

[1] Hamet Ismail : **le gouvernement Marocain et la conquête d'Alger** , O .P . CIT, P65.

[2] ibid , P65,

Hamet Ismail : **le gouvernement Marocain et la conquête d'Alger** , O .P . CIT, P62.

[3] Andrieux Maurice : **Le Père Bugeaud** (1784 – 1849) , Paris 1951 , P P206 , 212

[4] الناصري أبو العباس أحمد: **الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى: الدولة العلوية** ، ج8 و9 ، تحقيق وتعليق ولديه جعفر ومحمد الناصري ، دار الكتاب الدار البيضاء المغرب . ص52 .

1 - الجهل المطلق للتفوق العسكري الذي كانت تمثله فرنسا التي احتلت الجزائر ، لذلك اعتمد المغاربة على القوة التقليدية في مواجهة الآلة العسكرية العصرية لفرنسا و قد راهن المغاربة على قوة عددهم الذي أثار الخوف في صفوف الفرنسيين حيث يقول بيجو : "... الشيء الذي يخيف هو كثرة عددهم و الترقب الطويل يمحو و يقطع الإرادة الجيدة للقبائل التي تدعم فرقتنا".[1]

2 - لم يكن الجيش المغربي رغم قوته منظما و لا مؤهلا بقيادة عسكرية لمعركة لم يحسها ضارية و فاصلة فأمر ابنه محمد على الجيش و لم يكن على استعداد للقيام بأي معركة و قد نبه الأمير عبد القادر المغاربة على هذا الأمر.[2]

3 – بلادة القيادة الملكية ، فالأمير ركب فرسه في المعركة و على رأسه مضلة يحملها الأتباع لوقايته من الشمس و كان ذلك منتهى البلادة "وجاءت العيون ترى لمحلة ولي العهد ينبئ بزحف جيش فرنسا نحوهم ، فنهر الفقيه الطيب أبو عشرين ... و صارت الخيل مصطفة على مد البصر و أيتها تخفف على هينة عصبية و ترتيب بديع و كان الخليفة سائرا في وسطهم مباشر المظلة على رأسه راكبا على فرس أبيض و عليه طيسان أو جوامي تميز بزيه و مكانته".[3]

4 - انتشار الشائعات في صفوف الجيش المغربي و منها أن الأمير قد قتل فانتشرت الفوضى "وتسابق الشرادة إلى المحلة و عمدوا إلى الخباء الذي فيه المال فانتهبوه وتقاتلوا عليه ..." [4] وكانت تلك ضربة قاضيةللجيش المغربي .

5 - عدم إشراك الأمير عبد القادر برأيه و قوته في المعركة بسبب التكبر و بسبب عمل الجاسوسية الفرنسية حيث كان يشاع أن الأمير عبد القادر يمثل منافسا للسلطان " وقد حاول الأمير عبد القادر أن يساعد سيدي محمد و شرح له طرق تكتيك الفرنسيين في الحرب لكن نصائحه لم تجد أذن صاغية".[5]

---

[1] السليماني ابن عبد الله : **البيان المعرب عن تهافت الأجنبي حول المغرب** ، ط1 ، مطبعة الأمنية الرباط المغرب 1391هـ/ 1971م، ص136 .

[2] جلال يحي: **تاريخ المغرب الكبير**، ج3 ، دار النهضة العربية بيروت لبنان 1981، ص170.

[3] الناصري أبو العباس أحمد: **الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى: الدولة العلوية** ،مصدر سابق ، ص136 .

[4] المصدر نفسه ، ص52 . وأنظر: **مخطوط رقم 2755 الصفحة 189** في المكتبة الوطنية يوجد ضمنها مجموعة رسائل تاريخية.

[5] جلال يحي: مرجع سابق ، ص170 .

Hamet Ismail : **le gouvernement Marocain et la conquête d'Alger** , O .P . CIT, P62.

نتائج المعركة و انعكاساتها على المغرب الأقصى :

هناك عدة نتائج انعكست على أوضاع المغرب الأقصى يمكن حصر بعضها فيما يلي:

1 – وقوع خسائر بشرية و مادية في صفوف المغاربة و وقوع جزء كبير من الجيش المغربي أسيرا في يد الفرنسيين و هو ما يشكل ورقة ضغط في أي مفاوضات محتملة مستقبلا .

2 - غنم الفرنسيون الكثير من لوازم الجيش المغربي . 3 - تخريب الكثير من المدن المغربية خاصة المدن الساحلية و على رأسها طنجة . 4 - احتلال بعض المدن المغربية ومنها على وجه الخصوص الصويرة .

5 - تمثل إيسلي بداية النهاية للمغرب الأقصى حيث أصبح الاستقلال المغربي مهددا والأخطار الأوربية تزداد و تشتد، حيث حركت هذه الهزيمة الأطماع الأوربية في المغرب.

6 - فشل المغرب في تحرير المدن الساحلية التي كان و قد سبق للإسبان أن احتلوها خاصة سبتة و مليلية.

7 – توالي هزائم المغرب أمام الأوربيين بعد هزيمة إيسلي منها هزيمة تيطوان من قبل الإسبان.

8 – الآثار النفسية السيئة على نفوس المغاربة و على نفسية السلطان نفسه حيث تخلى الجميع عن فكرة مواصلة الجهاد. أما انعكاساتها على فرنسا يمكن حصرها فيما يلي:

وقوع بعض الخسائر المادية و البشرية في صفوف الفرنسيين إلى جانب استغلال فرنسا فرصة هزيمة المغرب في إيسلي لتجديد مطلبها القديم و المتمثل في ضرورة طرد الأمير من الأراضي المغربية و تسليمه إلى السلطات الفرنسية .

و بذلك كانت معركة إيسلي ورقة ضغط أحسن الفرنسيون استغلالها و هذا ما كان وراء فرض فرنسا على المغرب معاهدة تضمن الشروط الفرنسية حسب ما أكده بيجو نفسه بقوله : " أعتقد أنه علينا الآن أن نهمل أي شيء من أجل صياغة معاهدة حميدة تنفذ الشروط التي لها بالجزائر و التي تضعنا في موضع مشرف بالنسبة لعلاقات فرنسا مع المغرب ... و يمكن أن نكون اليوم كرماء دون ضعف إذ أننا ضربنا بكل قوة.[1] .

وأمام هذه المؤامرات التي حاكها و أمام القدرة على إقناع الخصم و إضعافه ومكافأة على تلك الانتصارات التي حققها لقب بـ"دوق دي إيسلي Le duc d' Isly".

[1] جلال يحي و آخرون : **مسألة الحدود المغربية الجزائرية**، مرجع سابق ، ص193 .

معاهدة طنجة 10 أيلول 1844 : لقد جاءت نسخة طبق الأصل للإنذار الذي وجهته فرنسا للمغرب[1]، وقعت هذه المعاهدة بين المغرب و فرنسا مدفوعين بالأسباب التالية : عن الجانب المغربي كانت المعاهدة مفروضة عليه بالقوة بعد الانتكاسات التي أصيب بها الجيش المغربي في إيسلي

و بعد القصف المكثف للمدن الساحلية ، للحفاظ على ما تبقى من ماء الوجه .

أما فرنسا فكان هدفها هو تحقيق أهدافها بالطرق الدبلوماسية و المتمثلة في التخلص من تواجد الأمير على الأراضي المغربية و بسبب المعارضة الإنجليزية للتوسعات الفرنسية حيث أعلن وزير خارجيتها اللورد إيبردين بتاريخ 31 تموز 1844م ما يلي : "إن احتلال أية نقطة في الأراضي المغربية احتلالا دائما ستكون بمثابة حرب"[2].

و قدم الجنرال بيجو مجموعة من الشروط كإنذار إلى المغرب : 1 – احتفاظ فرنسا بكل من وجدة و الصويرة .

2 – استخدام الجيش الفرنسي حق مطاردة المجاهدين الجزائريين داخل التراب المغربي . 3 – قنبلة المزيد من الموانئ المغربية . 4 – فرض الحصار الاقتصادي على سواحله الغربية و على طول حدوده مع الجزائر .

5 – انتشار القوات الفرنسية داخل التراب المغربي و على طول الحدود .

و هدد بيجو باحتلال مدينة فاس إن رفض المغاربة هذه الشروط فما كان من السلطان إلا التسليم و توقيع المعاهدة في 10 سبتمبر 1844م .

وقعت المعاهدة بين الوفد الفرنسي ممثلا في السيدين دوري دي نيون و الدوق دي كلو كوبارغ أما ممثل السلطان المغربي فهو الباشا بوسالم ، و قد تضمن ثمانية اشتراطات من أهمها الشرط الثالث و الرابع و الخامس.

بالنسبة للشرط الثالث يلتزم السلطان المغربي بعدم تقديم أي مساعدة لأي ثائر أو عدو لفرنسا ، أما الشرط الرابع فهو وضع الحاج عبد القادر خارجا عن القانون على امتداد المغرب و الجزائر و عليه يجب متابعته بالسلاح على تراب البلدين فإذا وقع في أيدي الفرق الفرنسية فإن حكومة جلال إمبراطور فرنسا تلتزم بمعاملته بكل اعتبار ومروءة ، و في حالة وقوعه في أيدي الفرق المغربية فإن جلالة السلطان يلتزم بسجنه في

[1] جلال يحي: **تاريخ المغرب الكبير**، ج3 ، مرجع سابق ، ص172.

[2] محمد خير فارس : **المسألة المغربية 1900 – 1912** ، جامعة الدول العربية / معهد الدراسات العربية 1961 ، ص224 .

إحدى مدن الساحل الغربي للإمبراطورية حتى ينظر الطرفان في الإجراءات اللازمة لمنع عبد القادر من حمل السلاح و تعكير صفوة الجزائر أو المغرب.

و الملاحظ على المعاهدة أنها لم تشر إلى التعويضات التي يفرضها عادة المنتصر على المنهزم فقد أدت إلى قول بات مشهورا "إن فرنسا غنية بما فيه الكفاية لدفع ثمن مجدها "ذلك أن حكومة فرنسا خلافا للأعراف لم تطالب بأي تعويض حرب لكنها حصلت من السلطان الذي بات مستعد للتوقيع على أي شيء مادام أنه قد أعفي من كل التعويضات على ما هو أثمن من الذهب و هو تسليم الأمير عبد القادراو طرده.

معاهدة لالة مغنية 18 مارس 1845 : بعد معاهدة طنجة و بعد هزيمة المغاربة في وجدة و في معركة إيسلي ، أرسل المارشال بيجو رسالة إلى ولي العهد المغربي سيدي محمد يوم 3 رمضان 1260هـ الموافق لـ17 سبتمبر 1844م و الظاهر من خلالها أنهما تبادلا قبلها الكثير من الرسائل وكان موضوعها الأساسي حتما هو كيف السبيل للتخلص من الأمير عبد القادر و مما جاء في هذه الرسالة : " ... إن الحاج عبد القادر قد انتقل لوسط هذه الأقطار فليس هكذا الطلب منك بل أردنا أن ينتقل بأهله و من معه إلى مرسة من مراسيكم البعيدة و تلزموا أنفسكم أن لا يفرج من موضع وضع فيه قط سيما تلتزموا أن لا يرجع لمعادتنا بالنواحي الشرقية و لم يكن بيننا سبب في القتال إلا هو فقط".[1]

و بهدف تحديد الحدود و التخلص نهائيا من الأمير أبرمت اتفاقية يوم 18 مارس 1845م بلالة مغنية جاء فيها ما يلي: "هذا تقييد ما اتفق عليه نائب سلطان مراكش و فاس وسوس الأقصى الفقيه السيد حميدة بن علي الشجعي عامل بعض مملكة المغرب، ونائب سلطان الفرنسيين ومملكة الجزائر الجنرال أريستول يزيدور (Isidor Aristole) كونت دولاروا صاحب نيشان الافتخار لدولة الفرنسيين و دولة إسبانيا ، من ذكر مبدأ الحدود والأماكن التي تمر عليها الحد من ملتقى وادي عجرود مع البحر في الشمال، إلى ثنية الساسي جنوب الصحراء، على مسافة حوالي مائة كيلومتر".[2]

وبذلك نستطيع القول أن الاتفاقية الثانية لالة مغنية تتعلق برسم الحدود المغربية الجزائرية حسب ما تقتضيه المصالح الفرنسية السياسية الاقتصادية و البشرية. هذه الحدود المفروضة على المغرب ستشكل عنصر توتر وخلافات وأزمات بين البلدين مازالت

[1] تشرشل شارل هنري : **حياة الأمير عبد القادر** ، مصدر سابق ، ص287 .

[2] إبراهيم مياسي : **التوسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري 1881 – 1912** ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد الجزائر 1996 ، ص171 إلى ص 176.

تداعياتها حاضرة في مغرب الحاضر و جزائر اليوم و الملاحظ أن شروط و مطالب فرنسا لا تنتهي فقد جاءت معاهدة طنجة 1844م[1] والتي قدم فيها المغاربة الكثير من التنازلات ثم بعد ذلك جاءت اتفاقية مغنية 1845م[2] التي حاولت وضع الحدود بين المغرب والجزائر لكي تتمكن من القضاء على نشاط حركة الجهاد الجزائرية عبر الحدود. و كان من نتائج هذه المعاهدة :

- ظهور تقارب مغربي فرنسي ضد الأمير عبد القادر . - دفعت المعاهدة قبائل المغرب الشرقي و الريف إلى الثورة ضد السلطان و إلى مواصلة دعمها للمجاهدين الجزائريين .

- اعتبر المغاربة هذه الاتفاقية عار و خزي للأمة ، من ثم راحوا يعرضون البيعة على الأمير و يستنفرون أنفسهم للجهاد ضد الكفار و قد كان رد الأمير: "إنما رفضت لأنني بعد أن عرفت المغرب بمشاكله الداخلية شعرت أن ذلك سيستقي مني ، على الأقل ، أثنى عشرة أو خمس عشرة سنة لا لكي أحكم مثل مولاي عبد الرحمن و لكن لكي يكون في استطاعتي أن أفرض القانون ، و أن أجعل حكومة محترمة".[3]

- ظهور بوادر انشقاق في صفوف البلاط المغربي على نفسه فقسم مؤيد للسياسة الملكية اتجاه الأمير عبد القادر و قسم معارض و موالي للأمير.وأظهرت السلطان بمظهر الضعيف الخنوع للقوى الأجنبية.

دور المغرب الأقصى في إضعاف المقاومة الجزائرية : تلبية لشروط اتفاقية طنجة ومعاهدة لالة مغنية القاضية كلها بالتخلص من الأمير عبد القادر بالمغرب الأقصى وجه السلطان المغربي رسالة إلى الأمير عبد القادر يطالبه بضرورة الانسحاب من الأراضي المغربية أو التوجه إلى حضرة السلطان بفاس ، فكان رد الأمير هو الرفض معززا موقفه بوقوف القبائل المغربية إلى جانبه .

و تعزيزا لموقف السلطان أصدر أمرا بطرد الأمير من مختلف العمالات والعمل على تشويه سمعته حيث وصفه بأنه رجل فتنة ، و أنه ليس رجل جهاد و أن هدفه الاستيلاء على العرش: "إنكم تذكرون لنا فيما يتعلق بالشيخ سيدي عبد القادر إن هدفه هو

---

[1] أنظر : بوعلام بسايح : **الأمير عبد القادر مغلوبا لكن مظفرا من لويس فليب إلى نابليون الثالث** ، وزارة الثقافة 2007 ، ترجمة الدكتور خليل ، من ص 273 إلى ص 276 .

[2] إبراهيم مياسي: **توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري 1881 – 1912** ، مرجع سابق من ص 172 إلى ص 176 .

[3] تشرشل شارل هنري : **حياة الأمير عبد القادر** ، مصدر سابق ، ص290.

التآمر و محاربة هذه السلطنة السعيدة . إن مولانا السلطان قد اظهر نياته ورغباته في أن يطرده من بلاده إذ أنه هو السبب في سوء التفاهم الذي يسود بين دولتكم و هذه السلطنة السعيدة".[1]

وستساعده فرنسا السلطان في هذا الامر ذلك بتطبيق سياسة العصا و الجزرة ، فأحيانا تلجأ إلى أسلوب القوة و الردع على طول الحدود مهددة بغزو الأراضي المغربية وذا ما تظهره رسالة السلطان إلى عامله بوسلهام قائلا له ما يلي: "فقد وصلنا كتابك مخبرا بما أخبرك الفرنسيس عن ورود شيطان الجزائر في الإثنا عشر ألفا من العسكر بقصد إتباع الحاج عبد القادر أينما كان و لو لأيالتنا السعيدة".[2]

فكيف كان موقف السلطان من هذه التطورات ؟ :لقد وجه السلطان رسائل في شهر أكتوبر 1845م إلى قبائل بني يزناسن و أنكاد يتهددها و يشرح لها هدف الأمير من الجهاد: "و ما مراده إلا إثارة الفساد و جلب الشر و الفتنة للمسلمين كما جلبها لأيالة الجزائر وغيرها فأوقعهم في الكفر و انقادوا بسببه لاستيلاء الكفار و أسلموا أنفسهم لأحكامه وعاد عليهم شؤم فعله بالدين".[3]

و من الأساليب الماكرة التي لجأت إليها فرنسا إرسال ليون روش في شهر نوفمبر 1845م إلى فاس حاملا عرضا للسلطات المغربية بأن فرنسا ستضع نفسها في خدمة السلطان لمحاربة الأمير و كان من منجزات هذا العرض أن أرسل أول سفير مغربي عبد القادر بن محمد أشعاع الى فرنسا في شهر ديسمبر 1845م.

و على إثر عودة السفير المغربي جانفي 1846م صرح بالقول "لو أني شرحت لحمي لتغذية ممثل فرنسا و أرقت دمي لينهل منه ، فإن ذلك سيكون ضئيلا جدا إذا ما رأيت أن أبرهن للجميع على مدى ما يغمر قلبي من الاعتراف بعطف سلطان الفرنسيين الأعظم".[4] وانطلاقا من هذه القناعة سعى إلى إقناع السلطان بأن فرنسا تريد الصداقة

---

[1] Hamet Ismail : **le gouvernement Marocain et la conquête d'Alger**, O .P . CIT, P87.

[2] الناصري أبو العباس أحمد: **الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى: الدولة العلوية** ،مصدر سابق، من ص50 إلى ص56 .

[3] محمد بن عبد القادر : **تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر**، مصدر سابق ، من ص487 إلى 489 .

[4] داوود محمد : **تاريخ تيطوان** ، القسم 3 المجلد 3 ، الطبعة المهدية، تيطوان، المغرب، بلا تاريخ، ص ص 295 ، 296.

ISSN : 2353-0472
EISSN : 2600-6405

مع المغرب صرح السلطان قائلا: "أقسم بأنني سأطرده، سأقبض عليه أو اقتله، و لن أتردد بعد اليوم بين مسلم عدو لي و نصارى أصدقاء".[1]

خاتمة:

لقد كان لوقوع الزمالة سنة 1843 في قبضة الغزاة وقعا سيئا حيث فقدت المقاومة طاقاتها الرئيسية إذ أحكم الجيش الفرنسي سيطرته على الجهة الغربية واستولى على المدن الرئيسية. وبعد عقد الصلح بين المغرب الأقصى وفرنسا بعد هزيمة إيسلي 1844 بعد انتصار الجنرال بيجو على المقاومة ، تحول المغاربة من أصدقاء إلى أعداء وحملوا الأمير مسؤولية انهزامهم أمام فرنسا رغم أن الأمير أبلى بلاءا حسنا بالقوة والرأي، لكن المغاربة أهملوا رأيه ولم يعملوا بتجربته في القتال وهذا ما يؤكده المؤرخون المغاربة ومنهم الناصري نفسه حيث يرى أن الأمير نبه السلطان على ضرورة إصلاح الجيش ودعاه إلى الاستعداد الجيد للمواجهة.بل أكثر من ذلك طاردوا الأمير وحاصروه فأصبح بين فكي كماشة ،المغاربة من الغرب والفرنسيون من الشرق عندها لم يجد الأمير سندا لمقاومته فكان التسليم .

[1] إبراهيم ياسين : **موقف الدولة المغربية من الاحتلال الفرنسي للجز ائر 1830 – 1847** ، ك. آ. ع. إ. / د. د. ع. ، جامعة محمد الخامس الرباط المغرب 1987، ص353 .